شعر الأخلاق بين الرافعيّ والورّاق
(الصبر – القناعة – عزة النفس)
دراسة بلاغية موازنة

دكتورة/ فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر
أستاذ مساعد بلاغة ونقد
شعبة اللغة العربية
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمدا لا انقطاع له، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

وبعد.. فهذا بحث بعنوان:

"شعر الأخلاق بين الرافعي والوراق(الصبر- القناعة- عزة النفس)
دراسة بلاغية موازنة

عالج البحث فيه أوجه الإحسان والإجادة، وأوجه القصور وعدم الإبانة، عند شاعرين لهما مكانة ومنزلة سامية بين الشعراء.

الوراق وهو شاعر عباسي اشتهر بحكمه ومواعظه، والرافعي، وهو شاعر حديث معروف بفلسفته وحكمته.

وتظهر أهمية البحث، في أنه تعرض لجانب من البيان الرفيع، الذي يربي الذوق، ويرتقي بالوجدان، وهوة مع ذلك ذو مضمون إصلاحي، يحتاجه الناس في كل زمان ومكان.

والتعرض لمحتوى هذا الكلام، ونفض غبار الزمن عنه، وإلقاء الضوء عليه بالتحليل والشرح والموازنة مما يجدد حضوره، ويلفت النظر إلى مضمونه للعمل به.

من هنا فإن هدف البحث ينقسم إلى شقين:

أما الشق الأول فتربية الذوق البلاغي، بتذوق النصوص البيانية العالية، والتعرض لها بالتحليل والموازنة.

وأما الشق الثاني: إلقاء الضوء على الجانب الإصلاحي في الشعر، وما يقوم به من دور مجتمعي، فالكلمة نور، وسيف يسلط على الرقاب إذا أسيء استخدامها.

وقد قام البحث بحصر كل شعر الأخلاق عن الشاعرين، وما اتفقا في تناوله، وما اختلفا، وعند التحليل اقتصر البحث على (الصبر والقناعة وعزة النفس)، لأن باقي الموضوعات تحتاج أبحاثا. لتوفى حقها من الدراسة والتحليل.

وقد كان منهج البحث منهجا تكامليا، حيث المنهج الاستقرائي التام في حصر مواطن شعر الأخلاق كله عند الشاعرين، ثم المنهج التارخي في التعرض لجانب من حياة كل من الشاعرين، وتأثر بيئته عليه، ثم المنهج الوصفي القائم على التحليل، ووصف الألوان البلاغية الكامنة في شعرهما.

ولم يسبق هذا البحث في الديوانين دراسة موازنة كهذه في هذه الموضوعات، إذ كل الدراسات السابقة أدبية بشكل عام، ولم يتعرض البحث لشيء منها إلا في التوثيق لحياة كل من الشاعرين.

وقد كانت خطة البحث كالآتي:

المقدمة وفيها أهمية البحث وأهدافه، ومنهجه وخطته والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه تعريف بالشاعرين وحصر لشعر الصبر والقناعة وعزة النفس لديهما.

المبحث الأول: تحليل شعر الوراق في الصبر والقناعة وعزة النفس.

المبحث الثاني: تحليل شعر الرافعي في الصبر والقناعة وعزة النفس.

المبحث الثالث: موازنة بلاغية نقدية بين شعر الشاعرين

الخاتمة وفيها نتائج البحث.

ثبت المصادر والمراجع.

والله أسأل أن يكون البحث فيه النفع، وهو سبحانه من وراء القصد.

وختاما: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا يحيى بن سليم الطائفي حدثني عمر بن يونس عمن حدثه عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الصبر ثلاث فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية.

فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاث مئة درجة بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض.

ومن صبر على الطاعة كتب الله له ست مائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسع مائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين»[1].

الباحثة

١ الصبر والثواب عليه. تصنيف:أبي بكر عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١هـ تحقيق/ محمد خير رمضان يوسف – دار ابن حزم– بيروت – لبنان ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م (ص: ٤)

التمهيد

التعريف بالشاعرين وإحصاء شعر الأخلاق عندهما.

أولا: التعريف بالوراق لأنه الأقدم زمنا:

يقول محقق الديوان: "محْمُود الورَّاقُ شاعرٌ مشْهُورٌ، وشعرُه ذائعٌ مُتَدَاوَلٌ، وهو من شُعراءِ القَرْن الثَّاني والثَّالث المَرْموقين، ولكن هذا كلُّه لا يحْملُ الرُّوَاةَ على أنْ يسْخُوا علينا في إيْرَاد أخْبَاره؛ فقد شغَلَهُم شعرُه أكثَرَ ممَّا شغلَتْهُم حياتُه، وإنْ هي إلا نُتَفٌ يسيرةٌ من أخْبَار الورَّاق وأنبائه، لا تُغْني ولا تَفي، وهي نفْسها في كلِّ مصدَر ينقلُها واحدٌ عن آخَر، فهو من شعراء العَصْر العبَّاسيِّ الأوَّل، شاعرٌ فاضلٌ مكثر، عُرف بنقاء الكلمة، وشرَف المعنى، وصدْقُ الغَرَض، قدَّرَ أمانةَ القَوْل، وأحَسَّ بمسؤلية الفَنِّ، فأخَذَ نفسَه بكُلِّ خَيِّرٍ هادفٍ" (١).

وهذه العبارة كفيلة أن تعرفنا بالشاعر، وتحدد الملامح العامة لشعره، حيث اشتهر شعره، وحظي بقبول لدى الناس، فالموعظة تجري على لسانه سهلة عذبة، كما أنه بعد أن قرأت الديوان وجدته كله مقطعات اللهم إلا قصيدتين، وهذا ساعد على سرعة الحفظ، رغم عدم جمع شعره في مكان واحد، فقد كان شعره منثورا بين الكتب، حتى هيأ الله من جمعه وحققه.

اسْمُهُ ونَسَبُه، وكُنْيَتُهُ، ولَقَبُه:

"محْمُودُ بن الحُسَيْن الورّاقُ الكوفيُّ أبو الحَسَن النَّخَّاس"(٢)، وقال الثَّعَالبيُّ: "محْمُودُ بنُ حَسَن"، وكذا جاء في عُيُونُ التَّوَاريخ(٣)، ولكن الأرْجَحُ الأَسْيَرُ: (محْمُودُ بنُ الحَسَن) كما ذكرَتْ أغلب المَصَادر عنه، واعْتَمَدَهُ مُحَقِّقُو الدِّيوان في مُسَمَّيَاتهم لديوانه، وهو شاعرٌ عراقيٌّ من عاصمة الخلَافَة العبَّاسيَّة آنَذَاك "بَغْدَادُ"، فهو بَغْدَاديٌّ كما ورد في بعض المصادر: "هو محمُودُ بنُ الحسَن الورَّاقِ البغداديِّ مولَى بني زُهرة، شاعرٌ كثيرُ الشعر

(١) ديوان الوراق شاعر الحكمة والموعظة– جمع ودراسة وتحقيق: أ.د/ وليد قصاب– ط١– مؤسسة الفنون– عجمان– ١٩٩١م ص١١.

(٢) الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنى، لأبي سعد محمد بن أحمد بن محمد العميدي (ت٤٣٣ه)، تقديم وتحقيق وشرح: إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف–القاهرة ،١٩٦١م، ص٣٤.

(٣) لباب الآداب، لأبي منصور الثعالبي النيسابوري، تحقيق: أحمد حسن لبح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤١٧ه–١٩٩٧م، ص ١٨٣. وعيون التواريخ، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: د/ عفيف نايف حاطوم، د.ط، دار الثقافة، بيروت–لبنان، ١٤١٦ه–١٩٩٦م، ص٥٣.

جيِّدُه وعامَّتُهُ في الحكَم والمواعظ والزهد"[١]، وهو من الشُّعَراء المَوالي، وكُنْيَتُه أبو الحَسَن، "ولا نعرف إن كان له حقًّا ولدٌ اسمهُ الحسَن، أم أنَّها كُنْيَةٌ أَتَتْهُ من اسْم أَبيه؛ إذْ ليسَ بيْنَ أيدينَا شيْءٌ عن هذا الولد"[٢].

وقد اكْتَسَبَ الورَّاقُ لَقَبَيْن: أحدَهُمَا "الورَّاقُ"، والآخَر"النَّخَّاسُ"، فأما الوَرَّاق بفتح الواو وتشْديد الرَّاءِ المَفْتُوحَة فهو النَّاسخُ بالأُجْرَة، وهو"اسمٌ لمَن يكتُب المصاحفَ، وكتب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق"[٣]، وقيل: إنه كان نخاسًا يبيع الرّقيق، ومات في خلافة المعتصم"[٤]، فذُكرَ اشتغَالَهُ بالورَاقَة تَحْت لقَبهَا، ثُمَّ ذُكرَ تحْتَهُ اشْتغَالَهُ بالنَّخَاسَة أيضًا، وذلك يُثْبتُ المهْنَتَيْن إلى الوَرَّاق.

ولقد تأثَّرَ الوَرَّاقُ بمهْنَة الوراقة كذلك، ولذا غلَبَتْ عليه، وعُرفَ بها أيضًا، ويبدُو أنها رافَقَتْهُ زمنًا في حياته، وكان محمود قد رقَّت حاله في بعض الدهر، واختلَّتْ اختلالًا شديدًا"[٥]، فلعلّه امتهن الورَاقَة في هذه الفَتْرة، وانْشَغَلَ بالعلم وتَشَبَّع بما يكُتُب، وانطَبَع ذلك في شعره.

وقد صَاحَبَ أبَا الشِّبْل الكُوفِيِّ[٦]، وبشَّارَ بن بُرْدٍ[١].

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، نسخه وصحَّحه ونقَّحه وحقَّق ما فيه، واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج٣٢٨/١. والحماسة الشجرية ،لابن الشجري هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني (ت ٥٤٢ه)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، وأسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة،،دمشق ،١٩٧٠م، ص٤٨٧.

(٢) ديوان محمود الوراق ، ص١١.

(٣) الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (٥٦٢ه-١١٦٦م)، تحقيق: عبد الرحمن بن المعلمي اليماني وآخرون، ط١، طبع بإعانة وزارة المعارف والشؤون الثقافية للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد-الدكن-الهند، ١٣٨٢ه-١٩٦٢م، ج ٣٠٠/١٣.

(٤) المرجع السابق ج٣٠٦/١٣.

(٥) طبقات الشعراء، لعبد الله بن محمد بن المعتز العباسي (ت ٢٩٦ه)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٣، الناشر: دار المعارف بمصر-١١١٩م، ص٣٦٦.

(٦) أبو الشبل: اسمه عاصم بن وهْب أو عُصْم بن وهب-كما ورد في بعض المصادر-من البراجم، مولده الكوفة، ونشأ وتأدب بالبصرة، وقدم إلى سُرَّ مَنْ رَأَى في أيام المتوكل ومدحه، وكان طيِّبًا نادراً، كثير الغزل ماجنًا، فنفق عند المتوكل بإيثاره العبث، وخدمه، وخصَّ به، فأثرى وأفاد، كان في أيام المأمون، وبقي بعده، وعمَّر طويلا، وكان أبو شبل أهتم، وكان صديقًا لمحمود الوراق. ينظر: معجم الأدباء=إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي الحمويّ (٦٢٦ه)، تحقيق: إحسان عباس، ط الأولى، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ١٤١٤ه-١٩٩٣م. ج١٠٧/١. ومعجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تصحيح وتعليق: أ.د/ ف. كرنكو ، ط٢، دار الكتب=

مَوْلِدُهُ :

لا يمكنُ تحديدُ عام ميلاد الوراق بدقَّة؛ ولكن حاول الباحثون حَوْلَ الدِّيوان الاجتهادَ في تحديدهما بنَاءً على ما وَرَدَ في أخباره؛ من موته في خلافة المُعْتَصم، وإشارات في أبياته إلى أرقام تقتربُ من وفاته(٢)، إذ لَمْ تَنُصّ المصَادر على السَّنَة التي وُلِدَ فيها الوراق، ولكنها نصَّتْ على تَقْريبها، بكَوْنه مات في خلافة المُعْتَصم الذي تُوُفِّيَ عام ٢٢٧ه، لأنه يحتمل أن يكون قد مات قبل وفاة المُعتَصم أو بعده بقليل كما ذُكر عن وفاته، وعلى هذا فإنَّ ولادته تُحْسَبُ، وتُتَوَقَّعُ –بحذر– أنها كانت بين عام أربَعينَ ومَائَة إلى عام خمْسينَ ومَائَة للْهجْرَة النَّبَويَّة.

حَيَاةُ الشَّاعر وعَصْرُهُ :

ينتمي الشَّاعر– بالنسبة للحقْبَة الزَّمنيَّة– إلى القَرْن الثَّاني والثَّالث الهجْريَّيْن، فقد وُلِدَ الورَّاقُ بين عامَيْ (١٤٠ :١٥٠ه)، وتُوُفِّيَ بين عامَيْ (٢٢٠ : ٢٢٧ه) على الأرجح، فهو من شعراء العصر العباسيِّ الأوَّل، والذي يبدأ "من عام (١٣٢ه)، ويمتَدُّ حتَّى عام (٢٣٢ه)، على أرجح الأقوال"(٣)، والمطلَق عليه "عَصْرُ الإسلام الذَّهَبيُّ"(٤)، فقد كان عصرَ قوَّةٍ وازدهارٍ وتَقدُّمٍ للخلافة الإسلامية، في شتَّى جوانبها.

=العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٠٢ه–١٩٨٢م، ص٢٧٥. وربيع الأبرار ونصوص الأخبار، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (٤٦٧ه–٥٣٨ه)، تحقيق:عبد الأمير مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات–بيروت، ١٤١٢ه–١٩٩٢م، ج٣٨/٣. وتاريخ بغداد وذيوله، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٤١٧ه، ج١٨٣/١٧.

(١) بشار بن بُرد: أبو معاذ بشَّار بن برد بن يرجوخ العُقَيْليُّ، مولى بني عقيل، الملقب بالمُرعَّثْ، ولد أعمى، وهو بصَريٌّ، قدم بغداد، وأقام بها ومدح الكبار، كان شاعرًا مجيدًا مفلقًا، ظريفًا محسنًا، كان يمدح المهدي ويحضر مجلسه، وكان يأنس به ويدنيه، ويجزل في العطايا، فوشي به بعض من يبغضه إلى المهدي بأنه يدين بدين الخوارج، فقتله المهدي، والصحيح أنه رُمِي بالزَّندقة فقتله، وكانت وفاته سنة سبع، وقيل ثنان وستين ومائة، وهو بن نيف وتسعين سنة. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان (٦٠٨–٦٨١ه)، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر–بيروت، ١٣٩٨ه–١٩٧٨م، ج٢٧١/١.

(٢) قال في الديوان ص ١٦٨: **ومَا صَاحِبُ السَّبْعِينَ والعَشْرِ بَعْدَهَا بأَقْرَبَ مِمَّنْ حَنَّكَتْهُ الْقَوَابِلُ**

(٣) ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ج١٠/١. وينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د/ حسن إبراهيم حسن، ط١٤، دار الجيل–بيروت، مكتبة النهضة المصرية–القاهرة، ١٤١٦ه–١٩٩٦م، ج٢٣/٢.

(٤) تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر للطباعة والنشر–القاهرة، (د.ت). ص٢١٠.

ولقد أدرك الوراق ما يقرب من ثمانية خلفاءَ ممن تولى الحكم في هذه الفترة، وتُعَدُّ هذه المرحلة من تاريخ العصر العباسي مرحلةَ القوَّة المركزيَّة التي بلغَتْ معها الخلافةُ وكثرةُ الفتوحات أَوْجَ عزِّها وعظمَتها، "فقد كانت بغدادُ عاصمةً لسلطنة واحدة، تمتَدُّ ما يقرُب من الهند إلى تونس... وتدفَّقَتْ عليها ثروة الإمْبرَاطُوريَّة، فعَمَّ الرَّخاء وساد البذخ في جميع مرافق الحياة"(١)، كما كانت هذه الدولة –نظرًا لتوسعها وامتداد أطرافها– تموج بالأجناس، والطوائف والاختلافات، والتي أدَّتْ لمَوْلد "مجتَمع جديد، ذي عادات جديدة بعضها أصيل والآخر ناشيء مُسْتَحْدَث، وأفكار جديدة أقلها حسنٌ مقبول، وأكثرها سيءٌ مرذول، فتأَثَّر العربُ بهم، في الأخلاق والعادات، وذلك لاختلاطهم بالموالي بالمصاهرة والتزاوج من أبناء الأمم الأخرى، فكسبوا "بسطةً في الجسم، وسلامةً في البَدَن، ونشأ جيلٌ جديدٌ من المولّدين يحملون طابع العرب وخصائص العجم، ويمتازون بفراهة الأجسام، وسلامة البنية، ووَفْرَة الجمال، مع تنوُّع الموْهبة والحذْق في الصناعة"(٢)، وبالغَ العباسيون في جلب الرقيق واستخدامهم في قصور الخلفاء والوزراء والأمراء، فاكتظَّتْ بهم القصور من كل جنس، وكانت بغدادُ نفسها من أعظم أسواق الرَّقيق، وكان بها شارع يسمى "شارع دار الرَّقيق "(٣).

وطبَعيٌّ أن يكون لهذا الاختلاط أثرٌ على العقول، "فإن العرب حين استولوا على هذه البلاد؛ استولوا كذلك على كتبهم وعلومهم وحكمتهم، فأخذوا يترجمونها ويدرسونها، فنشأ فيهم جيلٌ جديدٌ يمتاز بصفات مورُوثة، وعلوم مكتَسَبة لم تكن له لولا هذه المعاشرة والمداخلة"(٤)، وانطبع ذلك على الحياة الثَّقافيَّة بشتَّى صورها، فالعصر العباسي الأول عصر نهضة الفكر والأدب العربي، وازدهار العلوم والتَّرجمة والتَّأليف، وذلك بعد استقرار أوضاع الدولة الإسلامية، وهدوء حركة الفتوح، وانتظام ميزانها الاقتصادي، فقد تمَكَّن المنصور من "تثبيت الدولة والضَّرب على أيدي أعدائها، وما إن

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي، لحنَّا الفاخوري، ٥١٩ .

(٢) الآداب العربية في العصر العباسي الأول، د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، ط١، دار الجيل–بيروت، ١٤١٢ه–١٩٩٢م. ص ٣٦،٣٧

(٣) العالم الإسلامي في العصر العباسي، د/ أحمد ابراهيم الشريف، ود/ حسن أحمد محمود ، ط٥ ، دار الفكر العربي، د.ت، ص٢٤٢.

(٤) ينظر: الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، أ. محمود مصطفى، ط٢، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٦ه–١٩٣٧م، ج٢/٩، ١٠.

تمَّ النَّصرُ الحربيُّ حتى أفسَحَ رجلُ الحرب الطَّريق لرجال الإدارة والمال والقانون والآداب، فظهر في ذلك العصر نُخبَةٌ من الشُّعراء والفلاسفة والمُؤَرِّخين، والرِّياضيِّين، ورجال الدِّين، وقادة الفكْر الذين أكسبوا اللُّغة العربيَّة أغْنَى وأبرز تراث أدبيٍّ حظيَتْ به "[١].

وقد كان من أهم أسباب ازدهار الحياة الثقافية والعقلية "في العصر العباسي تشجيع الخلفاء العباسيين، وبذلهم لأهل العلم والأدب والفكر، والفن دون حساب، فازدهرت هذه الحركة الفكرية والثقافية، وكان تشجيعهم هذه الحركة العلمية الشاملة بدافع من حبهم الشخصي للعلم، وشعورهم بالمسؤلية تجاه الدين، الذي يحث على العلم ويرفع منزلة العلماء، ويعد عصر هارون الرشيد من أزهى عصور الانتقال الثقافي العريض، فقد كان "يحب الفقه والفقهاء، ويميل إلى العلماء، ويحب الشعر والشعراء، ويعظم في صدره الأدب والأدباء"[٢]، كما كان أبو جعفر المنصور "أول خليفة قرَّب المنجمين، وعمل بأحكام النجوم"[٣].

من هنا يظهر لنا أن الوراق عاصر وشهد جانبًا كبيرًا من أحداث عصره، حيث عاش في عاصمة الخلافة ونشأ في ظلالها، وتأثَّر ببيئتها في بعض جوانب اللهو في مقتبل عمره، ثم أثَّر هو فيها بجميل شعره بعد أن أدرك التَّوبة، فقابلَ به تيَّار المُجُون في الشِّعر، وحمَل لواء الدَّعوة بالكلمة الطَّيِّبَة، والحكمة الصَّائبة، والموعظة اللَّيِّنَة، فقد مثَّل به بحقٍّ معاني الوعظ والإرشاد في تلك الحقبة التي عاصرها من تاريخ هذا العصر، كما نطَقَ شعرُه بطيب نفسه، وحمْلها على جميل الفعَال وكَريم الأخلاق التي تنطَلِقُ من عقيدته الإيمانيَّة، وإخلاصه في الدَّعوة لها، والحثِّ عليهَا والتَّرغيب فيها، والتَّحذير من عواقب مخالفتها، بصدق الشعور المنبثق من أبياته، وعبَّر بلغته الشِّعريَّة عن أثر أحداث هذا العصر في لغة شعرائه، وما حملته هذا اللغة من ثقافة، نطقتْ بها السهولة الجارية على أساليبهم، وتمكنهم منها –على اختلاف طبقاتهم–، فقد حازت قدرًا عاليًا من البلاغة الراقية، والمعاني الجيدة، والقِيَم السَّامية؛ شاهدة على الرُّقِيّ الفكريّ

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية/ الخلافة العباسية مع اهتمامات خاصة بالعصر العباسي الأول، د/ أحمد شلبي، ط٨، مكتبة النهضة المصرية –القاهرة، ١٩٨٥م، ٣/ ٢٢٩، ٢٢٨.

(٢) تاريخ بغداد ج١٠/١٦.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، للإمام أبي الحسن بن علي المسعودي، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ١٤٢٥ه–٢٠٠٥م. ج٤/٢٥٠.

والأخلاقيّ الذي شهدَه هذا العصر بكل طوائفه، جعل الله ذلك في ميزان حسناته يوم الدين.

ثقافةُ الشَّاعر واتِّجَاهُ شعْرِه:

عاصر الورَّاق شعراء العصر العباسيِّ الزَّاخر بعشرات الشُّعراء الفحُول المجيدين ممن أدركهم أو عاصرهم أو التقى بهم، أمثال صالح بن عبد القدوس، وبشار بن برد، وخلف الأحمر، وعبد الله بن المبارك، وغيرهم كثيرٌ ممن رأينا على آثارهم النهضة الأدبية للعصر العباسي، ولقد اختَلَفتْ مذاهبهم واتَّجاهاتهم الفكريَّة والفنِّيَّة، من المُجون واللَّهو والزندقة، ومن الغزل، ومن السِّياسة والدَّعوة العباسية، ولكن الورَّاق سلك اتِّجاه الوعظ والحكمة والزهد، وحمل لواءهم مع غيره من الشعراء؛ حتى صار علَمًا فيه يُشَار إليه بالبنان.

واتجاه الحكمة والزهد قام في مقابل اتجاه المجون والخروج على الدين ومكارم الأخلاق، فإذا بهذا الاتجاه يجدد العودة لروح الإسلام وقيمه ومثُله وأخلاقه[1].

وفاته:

جاءت في المصادر صورٌ مُتنوِّعةٌ في الحديث عن وفاة الورَّاق، والتي بُنيَ عليها تقريب تاريخ مولده؛ قالت كثيرُ المصادر[2]: إنَّه "مات في خلافة المعتصم"، وهذا ما يرجح وفاته حول عام (٢٢٧هـ)؛ لأنه العام الذي تُوُفِّيَ فيه المعتصم، أو أقل منها بقليل.

آراءُ المُتَقَدِّمين في شعر الوَرَّاق:

لقد كان الوراق شاعرًا مثقفًا مطَّلعًا، وقد أدْخَلَ ثمرات هذه الثقافة إلى شعره، فهو شاعرٌ مُلمٌّ بآثار السابقين مرتبط بما يجري في عصره، يعبر عما يدور فيه، وينتقي من هذا المزيج ما يؤدي غرضه من التهذيب والإصلاح، فهو شاعر الحكمة المعبرة، والمثل السائر، والموعظة المؤثرة.

ولقد حَظيَ شعر الورَّاق عند القدماء بالتقدير له، وفطنوا لتَمَيُّزه بهذا اللَّون من القول، وأشادوا بشاعريته وفصاحته وإكثاره من هذا القول، ويقترن اسمه في العادة بأسماء

---

(١) من مقدمة الديوان بتصرف ص ٢٣ وما بعدها.

(٢) الأنساب للسمعاني، ١٠٦/١٣، وتاريخ بغداد، ١٠٢/١٥، وسير أعلام النبلاء، ج٤٦١/١١، وفوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ج٧٩/٤ ، ط١، دار صادر-بيروت، ١٩٧٤م.

كبار الشعراء في هذا الفن، وشعره قد نال حظوة عند أصحاب المختارات الشعرية، وفي دواوين المعاني، وكان شعره مادَّةً مهمَّة بشكل خاصٍّ عند الذين اهتمُّوا بإيراد أشعار ذات منْزَع خلُقيٍّ، كالحكمة والموعظة والزهد وغير ذلك، كابن عبد البرِّ، والبيهقي والماوَرديِّ والنهرواني وابن أبي الدنيا والتنوخي والمقدسي.

قال ابن المعتز(ت:٢٦٩هـ): "شعر محمود كثير، وأكثره أمثال وحكم ومواعظ وأدب، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبد القدوس وسابق البربري"(١).

وأشار الحصري القيرواني (٤٥٣هـ) إلى ثقافته، فقال: "وكثيرًا ما كان ينقل أخبار الماضين، وحكَم المتقدمين، فيحلِّى بها نظامه، ويزين بها كلامه(٢).

عرف الوراق إذن فى هذا العصر بأنه شاعر الموعظة والحكمة والزهد، وهو شاعر متميز في هذا الفن، ..... وشعره أغلبه في الحكمة والموعظة والزهد، والزهد غرض رئيس فى شعر الوراق، ... ثم تحتل الحكمة مكانا بارزا فى شعره، وهى تفصح عن خبرة بالنفس البشرية، كما تدل على أن الوراق قد أخذ بحظ غير يسير من الثقافة الفلسفية، وقد التقى ذلك على حس مرهف، ومعرفة بطبائع الأشياء.... كذلك يبرز فى شعر الوراق جانب اجتماعى مهم، حيث اهتم الشاعر كثيرا بإبراز عيوب مجتمعه، ووقف قسما غير قليل من شعره على الحديث عنه، وهو يبدو فى اللون من القول مصلحا ومربيا، وصاحب اتجاه فكري واضح، يروج للقيم الفاضلة، ويؤمن بالكلمة الهادفة لخير المجتمع. إذ هو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وفى شعره بعض النماذج التى تعد من الشعر السياسى، انتقد فيها بعض الملوك والأمراء الذين يحتجبون عن الرعية. هذا جانب من الشعر الاجتماعى عنده. أما القسم الآخر من هذا الشعر الاجتماعى الإصلاحى فهو شعر يحض على مكارم الأخلاق ويدعو إلى التمسك بها(٣).

---

(١) طبقات الشعراء، ٣٦٧.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى:٤٥٣هـ، دار الجيل-بيروت، د. ت، د. ط)، ج١/١٣٩.

(٣) مقدمة الديوان من ص ٢٣: ٣٥.

وقد حصر البحث شعر الأخلاق عنده فبلغ مائة وأحد عشر بيتا، استبعدت منه ما فيه وعظ وحكمة، وعنونت للمقطعات بعناوين تناسب محتواها، فكان أكثر شعره في الأخلاق، في شعر الصبر والقناعة وعزة النفس، سواء أفرد الحديث عن الصبر وحده، أو جاء مقترنا بالقناعة، وسواء كانت عزة القناعة وحدها أو مقترنة بعزة النفس. لذا جمعتهم في مكان واحد. وقد بلغ عدد الأبيات في هذه الأغراض أربع وثلاثون بيتا. بعدها من حيث الكم في الحض على الجود وبذل المال، حيث بلغت عدد الأبيات لستة عشر بيتا، ثم باقي الأغراض الأتية وكلها ما دون عشرة أبيات:

في الصدق والكذب، وفي الحسد، وفي ذم التكبر والتيه، وفي فقد العقل والإدراك، وفي الاجتهاد والهمة والعزيمة، وفي البخل، وفي الرضا، والحلم والصفح، والقصد والاعتدال، وذم الطمع والغرور، وفي حسن الخلق والمروءة.

ثانيا التعريف الرافعي(١):

اسمه: مصطفى صادق بن عبد الرازق (وفي بعض التراجم: عبد الرزاق) بن محمد سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي.

مولده: ولد في بهتيم، إحدى قرى محافظة القليوبية، في كانون الثاني (يناير) من ١٨٨٠م، الموافق لصفر من ١٢٩٨ه.

وهو سوري الأصل، مصري المولد، يتصل نسبه بعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

حياته:

نشأ مصطفى صادق الرافعى فاستمع أول ما استمع لتعاليم الدين من أبيه، وحفظ شيئا من القرآن الكريم، وفهم كثيرا من أخبار السلف، ولم يدخل المدرسة إلا بعدما جاوز العاشرة بسنة أو سنتين، ثم تلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة دمنهور الابتدائية ، ثم فى المنصورة، ونال الشهادة الابتدائية، وعين على إثرها كاتبا فى محكمة طنطا الأهلية.

(١) ينظر مقدمة ديوان مصطفى صادق الرافعي- حققه وشرحه وقدم له: الدكتور ياسين الأيوبي- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت. ٢٠٠٤م. ص ١٣- ٦٨ بتصرف واختصار. والجانب الديني في أدب الرافعي- مخطوط ماجستير في الأدب للباحثة/ نجاة محمد عبد الماجد العباسي- جامعة أم القرى١٩٨٢/ ١٤٠٢ه ص ٤٩ وما بعدها.

مرض الرافعى فلزم الفراش لأسابيع طويلة، ولم يعرف نوع مرضه، ويرجح أنه مرض عصبى أصاب رأسه وصحته بالكثير من الفتور والانحلال. ثم تطور المرض ليصيب أذنه، وفقد سمعه على إثره، ولم يعد فى وسع الناس مخاطبته إلا بالكتابة إليه، وكان ذلك بين الثلاثين، والخامسة والثلاثين من عمره. وتفيد كتب التراجم وبعض من أرخو لسيرته، أنه ظل فى محكمة طنطا حتى نهاية حياته، منكبا على مكتبة أبيه الحافلة بكتب الفقه والدين واللغة والآداب، وبخاصة التراثية الشعرية، الأمر الذى زوده بثقافة متنوعة الموارد والطعوم، فكان يكتب المقالة، والرسالة، والقصيدة، والدراسة النقدية، والمقالة الصحفية، ويؤرخ لآداب العرب وتراثهم، وغير ذلك من فروع المعرفة التى تضمنتها آثاره النفسية المتعددة المذاقات والاتجاهات، وكانت وفاته فى طنطا، التاسع والعشرين من صفر ١٣٥٦ ه / نيسان (إبريل) ١٩٣٧م.

طبائعه وأخلاقه[١]:

إن مصطفى صادق الرافعى قد استحوذت عليه طبائع وسمات، كشفت عنها كتاباته الإبداعية، الشعرية والنثرية على السواء، ورسائله وأخباره وحكاياته المروية عنه من قبل أصدقائه ودارسيه. وفى مقدمة هذه الطبائع:

- التأمل الحزين الذى نشأ فيه وترعرع، وأخذ بعدا فكريا تحليليا، مع العشرة الأولى للطبيعة وعناصرها والتى منها القمر، الذى أوحى له إنشاء كتابه الأدبى "حديث القمر".
- كذلك إيمانه العميق بالغيب الذى جعله يحدث أصدقاءه أحاديث غريبة عن الأرواح والشياطين، ومناجاة الأموات للأحياء أو العكس.
- كبرياء شديدة وتصلب فى المواقف، نجد ذلك مع بعض كتاب عصره الذين خطأهم الرافعى، ولم يتقبل ردودهم برغم صوابها وصحتها.
- سمة التعظيم الذاتى، التى توقف عندها بعض من كتبوا عن الرافعى [٢] حيث أوضح بعضا من ملامحها وآثارها، فالرافعى هو المثال الأعلى للشاعر

(١) ينظر المرجع السابق ص ١٤ وما بعدها.

(٢) الدكتور مصطفى الجوزو فى كتابه مصطفى صادق الرافعى: رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية، نقلا عن مقدمة ديوان الرافعى ص ١٦.

والإنسان، وأنه فى الطبقة الأولى من شعراء عصره، وأن إمارة الشعر يجب أن تكون له، لا لشوقى.

الرافعى وأدباء عصره [1]:

المرحلة التى عاش فيها الرافعى شهدت حركة أدبية وفكرية لا نكاد نجد لهـا مثـيلا إلا فى العصور الذهبية التى عرفها العرب فى العهود العباسية.

فهو العصر الذى تألقت فيه أسماء لامعة، ورجالات علم وسياسة وأدب، رفدوا أمتهم ولغتهم بأنفس ما جادت به قريحة وصاغه قلم.

من هذه الأسماء فى مصر: محمود سامى البارودى – سعد زغلول – محمد عبده – أحمد شوقى – حافظ إبراهيم – عباس محمود العقاد – أحمد أمين – مصطفى لطفى المنفلوطى – طه حسين... وغيرهم.

هذه القائمة قد جمعته بأعلامها صلات ود أو خصومة، منشأ الاثنين؛ موقفهم من نتاجه الشعرى والنثرى، بين مؤيد ومعارض، مادح مطر أو ناقد مزر، ونصيب النقد أو التجريح أكبر من الجانب الأول.

آثاره [2]:

ترك مصطفى صادق الرافعى آثارا جلية فى فنون الأدب نثرا وشعرا، خواطر وتأملات، ورسائل متنوعة، ومقالات نقدية، فضلا عن الشعر بمختلف أبوابه وأغراضه، وفصول الدراسة التاريخية الأدبية.

وتقع آثار الرافعى ضمن دوائر ثلاث، متداخلة متكاملة فى جوهر الصنعة الأدبية، مختلفة متباعدة من حيث الاتجاه والينبوع.

الدائرة الأولى: تضم كلا من: تاريخ آداب العرب –تحت راية القرآن– على السفود.

الدائرة الثانية: تضم الغالبية من كتب الرافعى التى تنتسب فى نسيجها إلى الأدب الإنشائى، من خواطر وتأملات وقصص ورسائل، على جانب كبير من جودة التعبير وجمال التأثير، وهى: حديث القمر – رسائل الأحزان – السحاب الأحمر – أوراق الورد – كتاب المساكين – وحى القلم.

---

١ مقدمة ديوان الرافعى ص ١٨.

٢ المصدر السابق نفسه ص ٢٢ وما بعدها.

الدائرة الثالثة: الخاصة بالنتاج الشعرى: وهو لا يمثل إلا جزءا يسيرا من نتاجه الأدبى العام.

جعل الرافعى ديوانه الشعرى فى ثلاثة أجزاء؛ قدم لكل جزء بمقدمة تحمل موقفه وآراءه فى الصنعة الشعرية غابرا وحاضرا، وهو ما لم يقم به معظم شعراء زمانه، أى لم يكتبوا مقدمات لدواوينهم، وإنما قام بها آخرون، ولعل الرافعى بذلك لا يريد لأحد أن يتوسط بينه وبين القارئ، ومن شاء الكتابة فلتكن خارج الديوان لا داخله.

وبعد استقصاء الديوان كاملا وتتبع عناوينه خرج لنا من شعر الأخلاق ستون بيتا، خمسة عشر منهم في حديث الشاعر عن الصبر والقناعة وعزة النفس، يليها حديثه عن أخلاق بعض البشر، وهو خمسة عشر بيتا أيضا، ثم مقطعات ما دون العشرة أبيات في الموضوعات الأتية: الصدق والكذب، الحسد، التكبر والتيه، فقد العقل وعد الإدراك، الاجتهاد والهمة والعزيمة، البخل، قلة الوفاء وخلف والوعد.

ثانيا: حصر شعر الأخلاق في الصبر والقناعة وعزة النفس عند الشاعرين

يقول محمود الوراق:

١- في الصبر[١]: (من بحر الرمل)

صابر الدهر على كر النوائب من كنوز البر كتمان المصائب

والبَسِ الدهر على علاته تجد الدهـــر مليئا بالعجائب

٢- وقال أيضا في الصبر[٢]: (من بحر المنسرح)

الصبر أمضى سلاح ذي الأرب فاقمع به حد سورة الأدب[٣]

٣- وقال أيضا في الصبر[٤]: (من بحر المنسرح)

علام يشقى الحريص في طلب الر زق بطـول الرواح والدلج

يا قـــــارع الباب رب مجتهد قـــد أدمن القرع ثم لم يلج

ورب مستولج على مهـــــل لم يشق من قرعه ولم يهج

فاطو على الهم كشح مصطبر فآخـــــــر الهم أول الفرج

---

١ الديوان ص ٧٠

٢ الديوان ٨٢.

٣ و سَوْرَةُ الغضب وثوبه وسورة الشراب وثوبه في الرأس وسورة الحمة وثوبها وسورة السلطان سطوته واعتداؤه . مختار الصحاح – مكتبة لبنان ناشرون (ص: ٣٢٦).

٤ الديوان ٩٤، ٩٥.

١- وقال في الصبر[١]: (من بحر السريع)

الدهر لا يبقى على حاله لكنه يقبل ويدبر
فإن تلقاك بمكروهه فاصبر فإن الدهر لا يصبر

٢- وقال في الصبر أيضا[٢]: (من بحر الخفيف)

وفق الله عاقـــلا قدر العيـــ ـــــش فرأس المعيشة التقدير
رد في الوجه ماءه وارتضى الصبـــ ـــــر قرينا إن الكريم صبور

٣- وقال في الصبر[٣]: (من بحر الطويل)

تعز بحسن الصبر عن كل هالك ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم
إذا أنت لم تسل اصطبارا وحسبة سلوت على الأيام مثل البهائم
وليس يذود النفس عن شهواتها من الناس إلا كل ماضي العزائم

٤- وقال في الصبر[٤]: (من بحر الكامل)

الحرص عون للزمان على الفتى والصبر نعم العون للأزمان
لا تخضعن فإن دهرك إن رأى منك الخضوع أمدّه بهوان
وإذا رآك وقد قصدت لصرفه بالصبر لاقى الصبر بالإذعان

٥- وقال في الصبر على الظلم[٥]: (من بحر السريع)

اصبر على الظلم ولا تنتصر فالظلم مردود على الظالم
وكِلْ إلى الله ظلوما فما ربي على الظالم بالنائم

٦- قال في الصبر والقناعة[٦]: (من بحر الكامل)

إني رأيت الصبر خير معوَّلٍ وفي النائبات لمن أراد معوَّلا
ورأيت أسباب القنوع منوطة بعرا الغنى فجعلتها لي معقلا
فإذا نبا بي منزل لا يُرتضى جاوزته واخترت عنه منزلا
وإذا غلا شيء عليّ تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

---

١ الديوان ١١٩
٢ الديوان ١٢٠
٣ الديوان ١٨١
٤ الديوان ١٩٤
٥ الديوان ١٨٠
٦ الديوان ١٦٥

٧- وقال في القناعة[١]: (من بحر البسيط)

لا ينفع الجدّ والتشمير والحذر خط الكتاب فلا ورد ولا صدر

تستعجل النفس آمالا لتبلغها كأنها لا ترى ما يصنع القدر

٨- وقال في القناعة[٢]: (من بحر الكامل)

إن القناعة ما علمت غنى والحرص يورث ذا الغنى فقرا

٩- وقال في القناعة وغنى النفس [٣]: (من بحر السريع)

من كان ذا مال كثير ولم يقنع، فذاك الموسر المعسر

وكل من كان قنوعا وإن كان مقلا فهو المكثر

الفقر في النفس وفيها الغنى وفي غنى النفس الغنى الأكبر

١٠- وقال في غنى النفس[٤]: (من بحر الطويل)

غنى النفس يغنيها إذاكنت قانعا وليس بمغنيك الكثير مع الحرص

وإن اعتقاد الهمّ للخير جامع وقلة همّ المرء تدعو إلى النقص

١١- وقال في غنى النفس[٥]: (من بحر الوافر)

مروءة معسر عفٍّ قنوع يقدِّر في معيشته ويمسك

تزيد على مروءة كل مثرٍ يروح ويغتدي جمّ التملكْ

وأكثر من سخائك بالعطايا سخاء النفس عما ليس تملك

يقول الرافعي:

١- في جمال الصبر والقناعة[٦]: (من بحر الكامل)

حمل فؤادك ما يطيق ولا تكن حزنا فإن الحزن ليس يطاق

كم مملق أمسى الثراء بـــبابه ولكم رماه على الثرى الإملاق

واقنع برزقك ما كفاك فإنما زاد المسافر هذه الأرزاق

والناس كالركب الذين إذا سروا ناموا ولكن المطي تساق

---

١ الديوان ١١٧

٢ الديوان ١١٢

٣ الديوان ١١٤

٤ الديوان ١٣٨

٥ الديوان ١٥٥

٦ الديوان ص ٩٣

٢- وقال محرضا على كرامة النفس وعزة القلب[١]: (من بحر الخفيف)

أصبحي يا هموم فينا وبيتي ... ما لهم على الرضا من ثبوت
قد بلونا الصدود حتى ألفنا ... ه كإلف العييّ طول السكوت
وغدونا مع الزمان كما شا ... ء وشاءت فواجع التشـــتيت
تترامى بنا رياح الرزايا ... كل يوم ترامي العنكبوت
لا رعى الله من يحب على الغد ... ر أغنا أو ذات حلي صموت
أحرام يا نفس أن أحفظ الود(م)* ... إذا ما أضاعه من هويت
ليس قلبي لغير من يحفظ القلـــ ... ـــب سواء أبيت ذا أو رضيت
فإذا ما الحبيب أعرض عني ... فاهجريه هجر الطلاق البتوت
واطلبي جانب الفخار وأعلي ... ما بناه الجدود لي أو فموتي

٣- وقال في عزة النفس[٢]: (من بحر المنسرح)

يا من يرى أنني بخلت بما ... عندي عليه فلست ذا وجد
كفاك بالنفس وحدها هبة ... فإن نفسي أعز ما عندي

---

١ الديوان ١٨٠.

* البيت مدور، فحرف الدال مشدد الدال الأولى مع الشطر الأول، والدال الثاني مع الشطر الثاني.

٢ الديوان ١٨٩

المبحث الأول: تحليل شعر الوراق عن الأخلاق
(الصبر – القناعة ، عزة النفس)

يقول الوراق[1] فى أول مقطوعة له عن الصبر فى الديوان وذلك فى بيتين:

صابر الدهر على كر النوائب من كنوز البر كتمان المصائب

والبس الـــدهر على عـــلاته تجد الـــدهر مليئا بالعجـــــائب

فبدأ بيتين بالأمر على المصابرة من الصبر، على وزن المفاعلة ليدل على عظم هذا الأمر على النفس فإن الصبر يحتاج إلى قوة نفس وعزيمة، وللدلالة على هذا الشق النفسى قال: صابر الدهر ولم يقل: اصبر على الدهر، بل اجعل التفاعل بينك وبين الدهر إن كر عليك بالنوائب والمصائب، المصابرة والكتمان لأن هذا من كنوز البر، وأحرى أن تنال به أعلى الدرجات فى الآخرة، ففيه مع الحديث عن المصابرة والصبر الترغيب فى التحلى بهما.

والأمر هنا على سبيل النصح والإرشاد، وكذلك الأمر فى بداية البيت الثانى "البس" الدهر على علاته...

كما يلاحظ استعانة الشاعر بالاستعارة، حيث شبه الدهر بثوب يلبس ثم حذف المشبه به وأتى بشئ من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وأظهر هنا أن ثوب الدهر واجب على المرء أن يرضى به على علاته، بما فيه من خير وشر، فإنك إن رضيت ظهر لك من الحكم والمواعظ ما يصيبك بالدهشة والعجب.

ثم يقول[2] فى مقطوعة أخرى من بيت واحد:

والصبر أمضى سلاح ذى الأدب فأقمع به حد سورة الأدب[3]

حيث يخبر عن الصبر أنه سلاح صاحب الخبرة الأريب، وأن الإنسان بالصبر يحفظ نفسه عن أن يناله من سوء الأدب ما ينال غيره من الناس، والقمع بمعنى المنع والحفظ.

---

١ ديوان الوراق ص٧٠

٢ الديوان ٨٢

٣ الأَرِبُ العاقِلُ ، وقيل صاحب الخبرة . سَوْرَةُ الخمرِ وغيرها وسُوَارُها حِدَّتُها لسان العرب – دار المعارف مادة أرب– سور الأَرِبُ العاقِلُ

وفيه تشبيه السلاح بالصبر، ووجه الشبه: القطع والمنع، فكما يمنع السلاح عن صاحبه الاعتداء، كذلك يمنع الصبر صاحبه عن مخالطة السفهاء.

والشطر الثاني يعد ترقيا في المعنى، حيث بدأ بتشبيهه بالسيف كأداة تحمي صاحبها، وانتهى بتوظيفه هذه الأداة فهي لقمع من به سورة الأدب.

وفى مقطوعة أخرى[1] من أربعة أبيات يبدأها الوراق بقوله:

علام يشقى الحريص فى طلب الــرّ زق بطول الرواح والدَّلَج

حيث بدأها بهذا الاستفهام الذى يدل على التعجب من حرص هذا الحريص الذى يشقى نفسه صباح مساء فى طلب الرزق، ويختم البيت بتناسب بين الرواح والدلج، إذ الرواح أخر النهار، والدلج هو ظلام الليل، ليدلل على حرص طالب الرزق الذي لا يستنكف طلبه حتى في وقت الرواح والدلج. فيناديه بقوله:

يا قارع الباب رب مجتهد قد أدمن القرع ثم لم يلج

ورب مستولج على مهل لم يشق من قرعه ولم يهج

فالنداء هنا للتنبيه على أن ما يأتي بعده مهم أن ينتبه له المخاطب وأن يعيه ويفهمه.

فإن المشقة تكليف النفس فوق طاقتها وإنهاكها بأسباب الدنيا ولذا كان داعيا للشاعر أن يناديه بعدها بالصبر، فإنه رب طالب للرزق طارق لبابه، مدمن للقرع لم يلج لتعجله رزقا قبل أوانه، أو طلبه شيئا ليس مكتوبا له.

ورب آخر يطلب الشئ على مهل، لم يشق من هذا القرع ولم يتعب ولم يضر بنفسه، ووصل لمبتغاه.

فاطو على الهم كشح[2] مصطبر فآخر الهم أول الفرج

وهنا أمر للنصح والإرشاد للإنسان أن يترفق بنفسه ولا يحملها مالا تطيق وأن يحذر الهم فيعالجه بالصبر، وليعلم أن آخر الهم هو أول الفرج.

لذا لا تجزع ولا تستسلم وتحلى بالصبر تنل ما تريد وتبتغى. ويستعين الشاعر هنا بالاستعارة فيجسد الهم ويجعله كالثوب ويأمر الشاعر أن يطوى عليه "كشح مصطبر"، يقال: طوى فلان كشحه أى: باطنه.[3]

---

١ الديوان ٩٤، ٩٥.

٢ الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف، وهو من لدن السرة إلى المتن. لسان العرب لابن منظور – دار المعارف. مادة (كشح)

٣ لسان العرب مادة (كشح)

أى: إذا كان الهم يملأ أركانك ويهز كيانك فاشمله بالصبر الشديد، والطى للشئ الحسى، ولكنه هنا أراد أن يجسد الصبر فجعله يطوى على الكشح ليعم البدن. فلا تستسلم للهم وكن قويا فى صبرك والتى جاءت بلفظ (مصطبر) فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، ثم يعلل تعليلا منطقيا مبنيا على خبرة فإن آخر الهم هو أول الفرج، فلم الجزع ولن يغلب عسر يسرين. في مقابلة بديعةبين أول الهم،، وأخر الفرج.

ويقول الوراق[1] فى بيتين آخرين في الصبر:

الدهر لا يبقى على حاله لكنه يقبـــــــــل ويدبـر

فإن تلقاك بمكـــــروهه فاصبر، فإن الدهر لايصبر

فيصف تقلبات الدهر وأحواله وأنه ما بين إقبال وإدبار، موظفا الطباق لتأدية المعنى في أبهى صورة وأنطقها. فإن جاءك من الدهر مكروه فاصبر فقد حباك الله بأنك تعرف الصبر، فتحلى به واعلم (أن الدهر لا يصبر) وهو كناية عن عدم الثبات لأحوال الدهر، أى فهو لن يستقر على حالة الهموم كثيرا بل سيرتحل عنها إلى وجهة أخرى فتنال بصبرك جزاء الصابرين، وترحل عنك الهموم بإذن رب العالمين.

ثم فى مقطوعة أخرى من بيتين: يدعو لمن كان خلقه الصبر فيقول[2]:

وفــق الله عــاقــلا قـــــدر العيـــ ـــــش فرأس المعيشة التقدير

رد فى الوجه ماءه وارتضى الصبـــ ـــــر قرينا إن الكريم صبور

فأتى بالخبر موطن الإنشاء ليدعو بالتوفيق للعاقل المقدر لعيشه، الذى لا يزل ماء وجه، وكان صبورا كريما، بل إنه أكد بأن الكريم صبور، وفيه حث وتحضيض على التحلى بهذه الأخلاق التى على رأسها وتاج تيجانها هو الصبر، فيا حبذا لو اتخذ كل انسان له الصبر قرينا.

ثم يأتى فى مقطوعة أخرى يحض على الصبر على الفراق، وأن يكون النسيان والسلوى بالصبر والاحتساب فيقول[3]:

تعز بحسن الصبر عن كل هالك ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم

إذا أنت لم تسل اصطبارا وحسبة سلوت على الأيام مثل البهائم

---

١ الديوان ١١٩

٢الديوان ١٢٠

٣ الديوان ١٨١

وليس يذود النفس عن شهواتها من الناس إلا كل ماضي العزائم

فيبدأ المقطعة بأمر الإنسان بحسن الصبر ليؤجر عليه، ففيه السلوى عن الهموم اللازمة والطارئة، وإذا لم ينس ويتسل اصطبارا وحسبة، سينسى مع مرور الأيام، ولكنك بتخليه عن التصبر سينحط لمنزلة البهائم، فيشبه من يسلو بفعل الأيام وليس بالاصطبار بالبهائم، ووجه الشبه عدم الإحساس والاعتبا.

وكعادة الشاعر فى فلسفته ووعظه يعقب بنتيجة لخبراته فإنه ليس يدفع عن النفس ذل الشهوات إلا العزيمة القوية والتى على رأسها الصبر، فقصر ذود النفس عن شهواتها على ماضي العزائم، أي صاحب العزيمة القوية الماضية، التي لا تفلها الخطوب، ولا تجزع لحوادث الليالي،قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ادعائيا مبالغة في مكانة الصبر والمتحلى به به بين العالمين. فإن في الاتعاظ بالبلاءات النازلة والصبر عليها، ما يدفع النفس عن الانسياق وراء الشهوات كالبهائم.

ويقول[1] فى مقطعة أخرى:

الحرص عون للزمان على الفتى والصبر نعم العون للأزمان

لا تخضعن فإن دهرك إن رأى منك الخضوع أمدّه بهوان

وإذا رآك وقد قصدت لصرفه بالصبر لاقى الصبر بالإذعان

حيث يبدأ بذكر خليقتين من خلائق بنى البشر، الحرص والصبر، أما الحرص الذى يجعلك تتعلق فيكون الزمان عونا عليك ولقوة حرصك تبتلى، فإذا تخلقت بالصبر كان لك نعم العون على الأزمان، وفى كل الأوقات سعيدها وحزينها، وإن أراد الدهر إخضاعك بالهموم فاستجبت أنت لهذا الخضوع، أمد الدهر خضوعك بالهوان والضعة وانعدام الشأن بين الناس، وإذا رآك قد قصدت لدفع ما نزل بك بالصبر ولم تشتك، قابل الدهر صبرك بالاعتراف بالهزيمة والخضوع والانصراف بالهموم عنك.

ويتجلى توظيف الشاعر للمفردات فيقول: الحرص عون للزمان، ثم يقول والصبر نعم العون للأزمان، فأفرد الزمن مع الحرص، وجمعه مع الصبر، ليدل على أن الصبر أنجح وسيلة للفتى تجعله يعيش فى الدنيا عزيزا بين الناس فى كل وقت، والنهى فى الأبيات " لا تخضعن" للنصح والإرشاد، وهو نهى متبوع بأسبابه، جسد فيها الشاعر الدهر فجعله يرى وجعله يمد ويلاقى، ونبه الشاعر الفتى كيف يقابل أفعال الدهر تلك،

---

١ الديوان ١٩٤

فإنه إن رأى الدهر من الفتى الخضوع كان المصير الهوان، وإن رأى الدهر قوة الفتى وصبره على نوائب الدهر لاقى الدهر هذا الصبر بالخضوع والإذعان.

ثم يأتى الشاعر فى مقطوعة أخرى من بيتين يتحدث فيها عن الصبر أيضا، ولكنه حديث المواساة لمن ظلم فيقول[1]:

اصبر على الظلم ولا تنتصر فالظلم مردود على الظالم

وكِلْ إلى الله ظلوما فمـــا ربي على الظالم بالنائم

فيأمر بالصبر على سبيل النصح والإرشاد وينهى أن ينتصر المظلوم لنفسه ناصحا ومرشدا أيضا، ويعلل للأمر والنهى بأن الظلم مردود على الظالم، وأن الظلوم لا يهمله المولى عز وجل فما ربك بغافل ولا نائم تعالى شأنه، وعبر بـــ (ظلوم) فعول وهى من أوزان المبالغة ليدل على أن كثير الظلم عليه أن لا يفرح بالإمهال، وأنه لا يعاقب عاجلا، وليعلم بإن الله يمهل ولا يهمل، فما ربى على الظالم بنائم.

ويقول الوراق[2] فى مقطوعة أخرى متحدثا عن الصبر والقناعة معا:

إني رأيت الصبر خير معوَّلِ وفي النائبات لمن أراد معوَّلا

ورأيت أسباب القنوع منوطة بعرا الغنى فجعلتها لي معقلا

فإذا نبا بي منزل لا يُرتضى جاوزته واخترت عنه منزلا

وإذا غلا شيء عليّ تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

فيخبر عن الصبر وتجربته معه، فهو خير ما يعول عليه، وأقوى شئ يستند الإنسان إليه، مستخدما التأكيد ليواجه من يشكك أو يتردد، وخاصة عند وقوع المصائب والنوائب، وتغير أحداث الزمان.

ويخبر فى البيت الثانى عن القناعة بنفس التأكيد وفعل الرؤية، فيرى أن أسباب القناعة منوطة بعرا الغنى، وهو تعبير دقيق، فإن أقنع الناس أغناهم وإن افتقر، فجسد كلا من المعنيين وجعل كلا منهما ملتصق بصاحبه فالقناعة آخذة بعرا الغنى، ولذا جعلها الشاعر معقلا له وحصنا حصينا يلتجئ إليه بعد الصبر.

فإن ضاق به منزل أو نزل به ضيق، ولم يرتض لنفسه ذلك المنزل ولا ذاك الضيق، فبالصبر يجتاز المحن ويعبر من منزل ينبو عنه إلى منزل يختار فيه ويعز.

---

١ الديوان ١٨٠

٢ الديوان ١٦٥

وإن غلا ثمن شئ عليه قنع بما لديه فترك ما لا قدرة له عليه، ولم يكلف نفسه شيئا لينال عرضا من أعراض الدنيا الزائلة، فأصبح المطلوب الغالى قديما فاقد القيمة لا يطلب. وهكذا تفعل القناعة بمؤمنيها ويفعل الصبر بالمسلمين به.

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن القناعة[1] وحدها فيقول:

لا ينفع الجدّ والتشمير والحذر خط الكتاب فلا ورد ولا صدر

تستعجل النفس آمالا لتبلغها كأنها لا ترى ما يصنع القدر

فيخبر أن الجد والتشمير والحذر لا يغنيان الإنسان شيئا، فقدره معلوم ولا يقدم الجد والتشمير والحذر شيئا ولا يؤخره، وعلى النفس ألا تستعجل آمالها وأن تقنع بما لديها فإنها بتعجلها ذلك كأنها لا ترى ما يصنع القدر؛ فشبه النفس المتعجلة غير القانعة بما قسم لها بالنفس العمياء عن صنع القدر، ووجه الشبه الجهل وعدم الوضوح حيث إن كلا منهما تعاند ما كتب وقدر، ولا ترضى بما خط فى اللوح المحفوظ، وهذا رأى الشاعر، فإن التسليم بالقضاء والقدر من أركان الإيمان. ولكن..

للبحث رأى فى هذه المسألة فإن الجد والتشمير والحذر لا ينافيان عدم التسليم وعدم القناعة، لأنهم من أسباب الدنيا التى لا بد للأخذ بها لينال كل طالب مبتغاه، فإن أخذ بأسباب الدنيا فلا يغال حتى لا يكون السخط وعدم الرضا، ولعل هذا ما حدا بالشاعر أن يقول البيتين، فلا يعلم مقتضى مقام البيتين، ولكل تأويل، وهذا على الرغم من أن المقطوعات دفقات شعورية قصيرة تخرج من نفس الشاعر المتأملة إلا أنها تحرم الناظر من تأويل مقتضيات الأحوال فله ما ظهر من النص، وأن يتأول ما خفى عنه.

ثم يخبر[2] فى أسلوب خبرى سردى عن القناعة فى بيت واحد:

إن القناعة ما علمت غنى والحرص يورث ذا الغنى فقرا

فيؤكد بالغنى فى القناعة، وأن ما لا يقنع ويحرص على أن يقتنى كل شئ سيورث نفسه فقرا وذلا وإن اقتنى غنى ومالا، فإن عدم القناعة تجعله نهما لا يشبع مهما امتلك واغتنى. وتتعاون المقابلة على رسم الصورة الفنية للمعنى في البيت: فالقناعة غنى، والحرص فقر.

---

١ الديوان ١١٧

٢ الديوان ١١٢

ثم فى مقطعة أخرى[1] يتكلم عن القناعة وغنى النفس معا:

من كان ذا مال كثير ولم يقنع، فذاك الموسر المعسر

وكل من كان قنوعا وإن كان مقلا فهو المكثر

الفقر في النفس وفيها الغنى وفي غنى النفس الغنى الأكبر

فيبدأ بالإخبار عن صاحب المال الكثير الذى لا يقنع بأنه الموسر المعسر، وأن القنوع بما لديه وإن قل ماله فهو الغنى المكثر، وعلل لذلك بأن الفقر والغنى فى النفس، وغنى النفس هو الغنى الذى ليس بعده غنى.

وأهم ما يلحظ فى المقطعة الطباق، حيث خلق الطباق جمالا فنيا فجر المعنى، رغم السرد الذى فى الأبيات الذى جعلها أقرب إلى النثر منها إلى الشعر فأخرجها الطباق مع الوزن عن هذا المسار، فأفصح عن المعنى، فانقاد له الفهم وأقر المعنى فى الذهن فكان لوحة فنية معبرة ترسم المعنى وتحدد معالم الصورة.

ثم يقول[2] فى غنى النفس فقط:

غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعا وليس بمغنيك الكثير مع الحرص

وإن اعتقاد الهمّ للخير جامع وقلة همّ المرء تدعو إلى النقص

فيخبر عن غنى النفس بأنه هو سر الغنى بشرط أن يكون الإنسان قنوعا غير حريص، وأن همة الإنسان هى مجمع الخير لو وظفها فى الخير وتحصيل الفضائل، أما قلة الهمة وفتور العزيمة فدائما ما تكون مدعاة للنقص.

وتتجلى المقابلة بين: غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعا، وبين: وليس بمغنيك ...الحرص، في البيت الأول، وبين اعتقاد الهم للخير جامع وبين قلة هم المرء تدعو إلى النقص، مقابلة بين معنيين ومعنيين في كل من البيتين، رسمت المعنى، ولونته بألوان الحياة، ونفخت فيه روحا من روحها فتلاقى الضدان ليظهر الحسن من بينهما. حكم أحرى بها أن تحفظ وتوعى، ويعمل بها فتكون سبيلا للنجاة دنيا وأخرى.

---

١ الديوان ١١٤

٢ الديوان ١٣٨

ثم يقول أخيرا[1] فى غنى النفس:

مروءة معسر عفٌ قنوع يقدِّر في معيشته ويمسك
تزيد على مروءة كل مثرٍ يروح ويغتدي جمّ التملكْ
وأكثر من سخائك بالعطايا سخاء النفس عما ليس تملك

مروءة المعسر غنى النفس القنوع المقدر لعيشه الذى لا يسرف ولا يمسك، ولا يحرص ولا يبذر، تزيد على مروءة الثرى الذى فى صباحه ورواحه كثير التملك؛ وإن سخاء النفس هو الأكثر بذلا وعطاء عن السخاء بما هو خارجها.

ويتجلى في البيتين جمال الطباق، الذي وضح المعنى فأظهره بضده، وأثر في السامع فجعل الذهن يفكر في الشيء ونقيضه.

إلى هنا انتهى حديث الوراق عن الصبر والقناعة وغنى النفس، فى أربعة وثلاثين بيتا على مقطعات لا تزيد على الأربعة أبيات فى بعضها، وتكون بيتا واحدا فى أكثر من واحدة.

وكما وضح من التحليل حديث فيه ترغيب بشكل أكبر وحث وتحضيض على الفعل بإلحاح، جاءت فيه صور من المعاني والبيان والبديع، اعتمد فى أغلبه على أسلوب الوعظ وأخرج مخرج الحكمة، صب فيها الشاعر كل فلسفته وخبرته فى الحياة، وضحت فيها ألفاظه فأغنت عن معاجم اللغة لما فيها من اليسر والسهولة.

كما أحاط بمعانى الصبر؛ من حيث الصبر على الطاعة، والصبر على المعصية، والصبر على النوائب، لكنه أكثر فى الحديث عن الصبر على النوائب بشكل مباشر إذ فى أغلب أبياته ينهى الإنسان عن الجزع والهوان تحت وطأة المصائب والنوائب.

كما نبه على أن القناعة حصن للإنسان يتحصن به من الحرص؛ لأن الدنيا لا توهب إلا إلى الراغبين عنها، والمدبرين عما فى يديها.

---

١ الديوان ١٥٥

المبحث الثاني: تحليل شعر الرافعي عن الأخلاق
(الصبر – القناعة– عزة النفس)

شعر مصطفى صادق الرافعى عن الصبر والقناعة وعزة النفس.

يقول الرافعى[1] فى جمال الصبر والقناعة:

حمل فؤادك ما يطيق ولا تكن حزنا فإن الحزن ليس يطاق
كم مملق أمسى الثراء بـبابه ولكم رماه على الثرى الإملاق
واقنع برزقك ما كفاك فإنما زاد المسافر هذه الأرزاق
والناس كالركب الذين إذا سروا ناموا ولكن المطي تساق

فيبدأ بالأمر على سبيل النصح والإرشاد "حمل" حيث يأمر الإنسان بأن يحمل قلبه ما يطيق، ولا يكن صعبا لا يطاق، لأن صروف الزمان دوائر، وكم من غنى بات فقيرا، وكم من فقير أصبح غنيا، فالقناعة والصبر هما رأس الفضيلة ومركب الأمان فى هذا البحر.

ونجد الرافعى على ما فى أسلوبه من العمق والتفكر الذى يغمض أحيانا، يوضح الفكرة مستعينا بصور بيانية رائقة؛ فالمملق يقف على بابه الثراء، والناس فى الدنيا كالمسافر بالليل ينام المسافر والمطى سائر لا يتوقف، ووجه الشبه: قطع المسافة حتى الوصول في كل، أما عن الثراء الواقف بالباب فقد وظف الاستعارة ليجلى هذا المعنى ويصور الثراء بإنسان واقف بالباب بجامع الانتظار فى كل، ثم حذف المشبه به وأتى بشئ من لوازمه وهو كلمة واقف بالباب على سبيل الاستعارة المكنية. تجسيدا للمعنى وتقريبا للفكرة من الذهن.

ثم يأمر بالقناعة ناصحا أن فيها الكفاية، وقصر زاد المسافر فى هذه الدنيا على كونها هذه الأرزاق المقسومة قصر موصوف على صفة، والمسافر معلوم أنه لا يحب الثقل فى الزاد، وإنما يحمل معه ما يعينه على مشقة الطريق حتى يصل، والناس فى الدنيا عليها كذلك أن تقنع وترضى، وتصبر على العيش؛ لأننا كلنا على سفر ودار المقامة ليست فى الدنيا، والناس فى سيرهم فى الدنيا يقطعون المسافات نحو الآخرة حتى وإن ناموا كالمسافر ليلا، ينام والمطى تقطع المسافات وتجتاز أماكن وبلدان، ووجه الشبه: قطع المسافة والوشك على الوصول في كل.

---

١ الديوان ٩٣

وفي موطن آخر من ديوانه يقول[1] محرضا على كرامة النفس وعزة القلب:

أصبحي يا هموم فينا وبيتي ما لهم على الرضا من ثبوت
قد بلونا الصدود حتى ألفنا ه كإلف العييّ طول السكوت
وغدونا مع الزمان كما شا ء وشاءت فواجع التشـــتيت
تترامى بنا رياح الرزايا كل يوم ترامي العنكبوت
لا رعى الله من يحب على الغد ر أغنا أو ذات حلي صموت
أحرام يا نفس أن أحفظ الود(م)* إذا ما أضاعه من هويت
ليس قلبي لغير من يحفظ القلـــ ـــب سواء أبيت ذا أو رضيت
فإذا ما الحبيب أعرض عني فاهجريه هجر الطلاق البتوت
واطلبي جانب الفخار وأعلي ما بناه الجدود لي أو فموتي

فبدأ قصيدته بالأمر مناديا الهموم بأن تصبح وتبيت، فليس بمرضى عنه، فقد ابتلى بالصدود من الحبيب، وأصبح الصدود مألوفا كما يألف العاجز عن النطق السكوت. وغدا الشاعر مع الزمان برزاياه ونوائبه مشتتا عن من يحب، ترميه رياح الرزايا من هنا وهناك وهو ضعيف فى مواجهتها فكأن الريح تتلاعب بعنكبوت.

ثم انتقل إلى الدعاء على من يحب الغدر، وهى أنثى لما وصفها به من كلمة أغن، أو ذات حلى ، وصموت كثيرة الصمت على وزن فعول.

ثم انتقل الشاعر للحديث عن نفسه فيناديها: أحرام يا نفس .....

ويستفهم منها: هل حرام أن أحفظ الود إذا أضاع الود من أحببت؟ سؤال إنكارى كأنه ينكر على نفسه أن يفعل هذا بدليل قوله بعدها: "ليس قلبى لغير من يحفظ القلب"، فكأن الشاعر نفسه تنازعه فى حبه، ففرق فى الحديث بين خطابه لقلبه ولنفسه، فإن القلب قد اكتوى بنار الحب ولم يعد له طاقة على الصد، ورغم ذلك يتألم بصمت، أما النفس فهى عزيزة أبية ترفض أن تهب القلب لمن لا يحفظه، وينصحها ويهددها معا: القلب لمن يحفظ وده سواء رضيت أو أبيت. فإذا أعرض الحبيب فاهجريه هجرا لا رجوع فيه، واجعلى نفسك عزيزة وافخرى، واطلبى العلا وكونى كما أراد الجدود، فقد أورثوك فخرا وعزا، فكونى لهم امتدادا، أو فموتى.

---

١ الديوان ١٨٠

* البيت مدور، فحرف الدال مشدد الدال الأولى مع الشطر الأول، والدال الثاني مع الشطر الثاني.

وحديث الرافعى هنا عن عزة النفس لما يكابده من ألم الحب، استعمل فيه الإنشاء ليفرغ الطاقة الشعورية التى بداخله، فينادى الهموم، وينادى النفس ويسألها ويصف حاله بجمل خبرية تحمل من صنوف البيان ما يجعل الفكرة تتلألأ، فقد ابتلى بصدود الجبيب حتى ألفه، ثم شبه ألفة الصدود بألفة العيى طول السكوت، ووجه الشبه: عدم الغرابة فى كل.

وتترامى به الرياح الرزايا ترامى العنكبوت: تشبيه آخر يوضح مدى الضعف الذى أحل بالشاعر، وإن كان جانبه الصواب فى التعبير بالرياح دون الريح، لأن الرياح لم تستعمل فى القرآن الكريم إلا بالخير، والريح لم تأت إلا فى عذاب، فكان الملائم لمقام العذاب النفسى هنا لفظ الريح لا لفظ الرياح. واستعارة الرياح لنزول الرزايا استعارة تصريحية، حيث شبه نزول البلايا بالرياح، بجامع المفاجأة والبغتة في كل. ومن خصائص الاستعارة هنا التشخيص والتجسيد، وبث الحركة والحياة في الجماد[1].

ثم يستعمل أسلوبا خبريا يحمل معنى إنشائيا وهو الدعاء، فيقول: لا رعى الله، يطلب من الله عدم الرعاية لمن يحب ويوطن نفسه على أنه معذور به وإن كان يحب أغنا ذا صوت جميل، يتجمل بالحلى وطول السكوت.

ثم الاستفهام الإنكارى الذى يحمل معنى التعجب فى: أحرام يا نفس....؟

ويظهر معنى عزة النفس فى الأبيات الثلاثة الأخيرة التى تبدأ بقوله: ليس قلبى لغير من يحفظ القلب ... إذ يخبر بحكم نهائى أن قلبه لمن يحفظه سواء رضيت نفسه هذا الحكم أو أبت، فإذا أعرض الحبيب فسيكون هجرا لا رجوع بعده كالطلاق التبوت وهذا من ثقافته الإسلامية.

ويختم القصيدة بأمر النفس أن تطلب الفخر الذاتى لها ولا تعتمد على نباه الأجداد أو أن تموت، ولكن أن تستغنى عن كل هذا فى مقابل حب من طرف واحد فهذا لا يليق.

وأخيرا قال الرافعي[2] فى عزة النفس هذين البيتين:

يا من يرى أنني بخلت بما عندي عليه فلست ذا وجد

كفاك بالنفس وحدها هبة فإن نفسي أعز ما عندي

---

١ ينظر مفتاح العلوم للسكاكي– علق عليه/ نعيم زرزور– دار الكتب العلميـــة– بيـــروت لبنـــان– ط١– ١٤٠٣/ ١٩٨٣م. ص ٤١٢، ٤١٣.

٢ الديوان ١٨٩

وهو معنى غريب فى عزة النفس، فقد نادى من يرى أنه بخيل؛ لأنه لم يعطه من ماله؛ وأخبره أنه ليس ذا وجد عليه، أو يحمل فى قلبه شيئا حياله، فيكفيه أن يهبه من نفسه، فإن نفسه عنده أعز ما يملك وما يقتنى، وأحسب أن الشاعر هنا يخاطب شخصا قد أحبه فوهبه نفسه؛ لذلك خاطبه هكذا.

وقد عنون الديوان للبيتين بعزة النفس حيث أخبر عن نفسه بأنه جواد يجود بما لا تجود به الأنفس الأخرى، فإنه يهب نفسه لمن يحب ونفسه أعز عليه من كل مقتنيات الدنيا، ولا يقابلها ثمين مهما غلا.

هذا..

لم يحط الرافعي بكل معاني الصبر ولم يفرده بأبيات وحده كما فعل الوراق، بل جاء في ثنايا حديثه عن القناعة فقط. وأفرد لعزة النفس موطنين في ديوانه الأول منهما في ختام قصيدته التي كانت محل الدراسة هنا، والموطن الثالث والأخير من بيتين جاء الحديث فيها على سبيل الإخبار عن أن نفسه عزيزة لا يهبها إلا لعزيز.

تعددت ألوان البلاغة لديه لكنها لم تكن بالثراء الذي عند الوراق وسيتضح ذلك في المبحث الثالث حيث الموازنة بينهما.

المبحث الثالث: موازنة بلاغية نقدية بين الشاعرين

إن الموازنة كانت فى أول أمرها أحكاما جزئية خالية من كل تعليل، وإن الأهواء وخواطر الساعة ومناسبات القول كانت من مصادرها، وأنها لم تستقر إلا بتراخى الزمن، بل إن استقرارها لم يكن يوما نهائيا إلا فى المسائل الكلية، وأما التفاصيل فظلت موضع اختلاف بين الأدباء والنقاد والعلماء.[١]

وبروز شخصية الشاعر الإبداعية وتوظيفه ثقافته فى شعره، وانعكاس مرآة نفسه فى نظمه أمر يحتاج إلى معرفة خلفية الشاعر الثقافية؛ لأن الموهبة وحدها لا تكفى لظهور شخصية الشاعر وإبداعه فى شعره، وقد فطن لذلك النقاد العرب ومن ثم فهم يصرون على الجمع بين الطبع من ناحية وبين المعرفة الفنية من ناحية ثانية، بل إن الشاعر العظيم هو الذى يتمتع بثقافة واسعة، أجهد عقله فى اكتسابها، حتى يتمكن من إكساب شعره مزيدا من الجمال والجودة، وبهذا يكون اطلاع الشاعر على أعمال من سبقوه فى الشعر شرطا ضروريا للإبداع الفنى".[٢]

كما أن ما يساعد كل شاعر على السلاسة والعفوية حسن استخدامه الطباق مرة، والترديد للألفاظ أخرى، والمقابلة حينا ثالثا، ورد العجز على الصدر حينا آخر، إلى غير ذلك من وسائل الصنعة والمهارة الفنية التى يجب أن يتحلى بها الشاعر قبل أن يقصد القصيد، وينظم الشعر ويصوغ البيان.[٣]

وبالنظر إلى الشاعرين يمكن الموازنة بينهما في النقاط الآتية:

١- مردود ثقافة كل من الشاعرين على شعرهما محل الدراسة.

٢- حسن توظيف المفردات ونظمها في سياقاتها لتؤدي المعنى عند كل منهما.

٣- عرض موازن للصور البلاغية وتوظيفها عند كل منهما.

٤- لأيهما قصب السبق لصورة انفرد بها، أو لمعنى ذكره ولم يرد عند الآخر.

٥- البحور المستخدمة عند كل واحد منهما، ومدى حسن توظيفها لدى الشاعرين.

---

١ النقد المنهجى عند العرب ومنهج البحث فى الأدب واللغة – مترجم عن الأستاذين لانون ومايبه– د/ محمد مندور – دار نهضة مصر– الفجالة بالقاهرة ص ٣٤٠.

٢ مفهوم الخيا ل ووظيفته فى النقد القديم والبلاغة لفاطمة سعيد أحمد حمدان – مخطوط رسالة دكتوراه فى البلاغة – جامعة أم القرى سنة ١٤١٠/ ١٩٨٩ ص٩٧

٣ البلاغة العربية فى ثوبها الجديد لبكرى شيخ أمين– دار العلم للملايين – بيروت – ط٣ – ١٩٩٠ ج٣/ص٨٢

أما عن مردود ثقافتهما: فالوراق وكما ذكر في التمهيد للبحث عنه، وكما جاء في كتب من أرخ له، لم يسم وراقا إلا لأنه اشتغل في الورق لدى النساخ، فقرأ كثيرا ونسخ أكثر، وقد كان عصره عصر الدولة العباسية، عصر نماء وازدهار فكري وأدبي، فكان فكره وثقافته مطبوعان بثقافة هذا العصر، الذي كان يموج بثقافات مختلفة بسبب كثرة الفتوحات، وطبَعِيٌّ أن يكون لهذا الاختلاط أثرٌ على العقول، "فإن العرب حين دخلوا هذه البلاد استولوا على كتبهم وعلومهم وحكمتهم، فأخذوا يترجمونها ويدرسونها، فنشأ فيهم جيلٌ جديدٌ يمتاز بصفاتٍ مورُوثةٍ، وعلومٍ مكتَسَبةٍ لم تكن له لولا هذه المعاشرة والمداخلة"(١)

وعلى قدر الترف والمجون الذي انتشر في هذه الفترة ظهر تيار الزهد في مقابله، الذي كان من أعمدته الوراق، حيث كان ديوانه ديوان حكم ومواعظ وزهد في مجمله، واحتل الحديث عن الأخلاق قدرا من ثناياه، فظهر تأثر الوراق بخلفية عصره الثقافية والاجتماعية، تأثرا واضحا يلمح في كل الديوان وليس في شعر الأخلاق فقط.

أما عن الرافعي فقد كان المدافع، وحائط الصد في الدفاع عن اللغة العربية، وواقف أمام دعوات التغريب، إذ كان من دعاة التجديد في العصر الحديث، الذين ينادون بالتجديد في موضوعات الشعر مع الحفاظ على عموده القديم. "وكان لثقافة الرافعي وفلسفته دخل في هذا التوجه، فقد تتلمذ على يد الشيخ محمد عبده، متأثرا بأفكاره الحماسية، الملتهبة، تأثرا عميقا، فوطد صلته بكل أعلام مدرسته، وأشهر شعراء العصر الحديث: مثل: الكاظمي وحافظ وغيرهما، ومن هذه المدرسة أخذ الرافعي فلسفته في الحياة"[٢].

فهو رائد التجديد في شعرنا العربي الحديث، وأحد المقاتلين الشجعان في صد هجمات التغريب، ومحاولات الاقتلاع من الجذور، فكان ممن اشتهر في بداية القرن العشرين بأسلوب غير مطروق في فن الكتابة، وقدم في العشرينات والثلاثينات نماذج أدبية

(٤) ينظر: الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، أ. محمود مصطفى ، ج٢/٩،١٠ ، ط٢، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.

٢ ينظر الجانب الديني في أدب الرافعي ص ١٠٥، ١٠٦ بتصرف.

تتجاوز معطيات المرحلة التي عاش فيها، كما تجاوزت أساليب المجددين الذين عاشوا معه في نفس المرحلة[1].

أما عن حسن توظيف المفردات ونظمها في سياقاتها: فقد أجاد كل منهما في توظيف مفردات قاموسه، وإن كان الوراق كان متفوقا في هذه النقطة، لغزارة نتاجه في هذا الموضوع، إذ كان الحديث في الصبر والقناعة وعزة النفس عنده أكثر من ثلاثين بيتا بينما عند الرافي لم يتجاوز خمسة عشر بيتا. وبعيد عن القلة والكثرة الكمية، فقد أجاد كلا الشاعرين في نظمهما، وساعدهما قاموسهما الشعري على ذلك.

إلا أن البحث استدرك على الرافعي استعماله (الرياح) بدلا من الريح، في موطن كان استعمال الريح أولى وأجدر بالمعنى.

وبالنظر في الصور البلاغية عند كل منهما: نجد أن الوراق تفوق تفوقا ظاهرا في توظيف أكثر من لون بلاغي، بين معان وبيان وبديع، رغم قصر المقطعة الشعرية، التي لا تسمح للأديب بالتطويل أو الإطناب، ليحشد في نظمه صورا بلاغية وفنية خاصة، بل إنه عبر بشكل طبيعي عن انفعاله بتجربته في دفقة شعورية موجزة، مع أن انفعاله لا يترك له وقتا للإطالة والاحتفال. خاصة وكل شعره مقطعات.

ونجد لدى الرافعي هذه الدفقة الشعورية واضحة في أبياته القليلة، فرسم بالعبارة الواضحة المؤثرة حدود انفعاله بالمعنى وتأثره به، ولم يلجأ إلى الألوان البلاغية إلا حين جاءته من وحي إحساسه. ومع أن الرافعي قد أتى بقصيدة من تسعة أبيات إلا أنه فيها ترقى بالمعنى، فكان المعنى فيها تصاعديا، فبدأ بأساليب الإنشاء الطلبي المجازية، وعززها بأساليب الخبر لتقوى الصورة، فبالإنشاء يقوى الخبر، وبهما معا تكتمل الصورة المعبرة.

ويتصاعد المعني عند الرافعي في قصيدته، ليصل إلى ذروته في آخر أبيات القصيدة، محل الشاهد، وهي التي تتحدث عن عزة النفس وكرامة القلب، فيخاطبها قاسيا عليها، مؤنبا لها، أنه لا مجال لهبة القلب لمن يرعى وده ويحفظه، رضيت أو أبيت هذا الحكم، وعليك أن تتشغلي ببناء مجدك الذاتي، الذي يجعل من أسسوا له من الأجداد يفخرون فخرا فوق فخر، ويعتزون بك عزا فوق عز.

---

١ ينظر عمالقة عند مطلع القرن: أحمد شوقي– حافظ إبراهيم– طه حسين– عباس العقاد– مصطفى صادق الرافعي– أبـو القاسم الشابي– د/ عبد العزيز المقالح– دار الآداب– بيروت– ط٢– ١٩٨٨م ص١٢١: ١٢٣ بتصرف.

ومن حيث أبواب البلاغة فجاء في مقطعات الوراق من علم المعاني: الإنشاء الطلبي من أمر ونهي واستفهام ونداء، لينقل هذه الدفقة الشعورية لدى الشاعر، ويصور مدى حرصه على من يسمعه، فيحض ويرغب، وينهى ويحذر وينفر، وينادي ويستفهم لكي يأخذ النفس بالعجب.

أما الرافعي في أبياته القليلة، فقد وظف الأمر في معنى النصح والإرشاد، والنداء فنادى الهموم، والاستفهام حيث سأل النفس، ولم يأت من النهي عنده شيء.

كما جاء كل منهما بالخبر بمعنى الإنشاء، فدعى الوراق بالتوفيق للعاقل الملتزم الصبر على أحكام الزمن، ودعى الرافعي على من يهب قلبه لغدار لا يصونه.

كما جاء القصر عندهما، فكان في شعر الوراق بالنفي والاستثناء، كأنه يخاطب من ينكر، فيسوق له الكلام بنفي واستثناء ليفيد تأكيدا وتثبيتا.

أما الرافعي فأتى القصر لديه بإنما، التي تخاطب من يعلم، بل ربما أفادت التعريض أيضا، لكنها مع الرافعي أتت لتسوق حقيقة معلومة، ألا وهي أن أرزاق الله المسوقة لنا في هذه الدنيا هي زاد السفر إلى الآخرة. ولأنه معلوم كانت الأداة إنما.

أما علم البيان فقد اشترك الشاعران في توظيف التشبيه، فشبه الوراق من يسلو بغير الصبر بالبهائم، وشبه الرافعي الناس في الدنيا بالمسافرين، كما شبه النفس وتصاريف القدر معها بمن تعلق بالرياح تصرفه كيف شاءت. فكان الرافعي أكثر توظيفا للتشبيه من الوراق، رغم أنه أقل من الوراق كماً.

كما اشترك كلاهما في صور استعارية استدعاها المقام وطلبها فساعدت على بروز المعنى ووضوحه، ولونت البيت بألوانها، فجسدت المعنويات وحركت الجمادات، وألبست الكلمات روحا فكانت أداة فعالة عند كليهما لتوضيح المعنى وتقريب الصورة.

إلا أن الوراق جاء بالاستعارة في أكثر من موضع فعوض بذلك قلة استخدام التشبيه، فتميز عن الرافعي بصور لم تأت عن الرافعي، مثل قوله: البس الدهر على علاته، وقوله: واطو على الهم كشح مصطبر. وغيرهما. بينما لم تأت الاستعارة عند الرافعي إلا في قوله: تترامى بنا رياح الرزايا، وقوله: كم مملق أمسى الثراء ببابه. وهي معان مطروقة قبل ذلك.

والاستعارة كما قال الإمام عبد القاهر: "هي أمد ميدانا، وأشد افتنانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا...من أن تحصر فنونها وضروبها... ومن خصائصها التي تذكر

بها .... أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر"[1].

وانفرد الوراق بالكناية وهي أسلوب غير مباشر استدعاه المقام لأنه أكثر تأثيرا، فيمن يوجه له الكلام غالبا، إذ يسوق المعنى الحقيقي مصحوبا بالدليل. فقال: فاصبر فإن الدهر لا يصبر. كناية عن تحول نائبات الدهر وعدم ثباتها.

بينما لم يكن عند الرافعي في هذا المقام كناية.

أما علم البديع فقد اشترك الشاعران في توظيف الطباق لخدمة الصورة، و رسم المعنى، فخلق الطباق لديهما جمالا في الأسلوب، ففجر المعاني، وجعلها منقادة للفهم مستقرة في الذهن، كأنه لوحة فنية ترسم المعنى وتحدد معالم الصورة.

وانفرد الوراق بإيراد المقابلة، في أبياته، والمقابلة كالطباق لها أثرها في توضيح المعنى، وجمال الضد، وتأثير في السامع يجعله يفكر في التضاد. بينما خلت الأبيات عند الرافعي من المقابلة، وإن كان الطباق قد قام بتجميل المعنى عنده ووفاه.

ولعل قلة كم أبيات الرافعى مقارنة بالوراق فى الصبر والقناعة وعزة النفس يرجع إلى أن الوراق كان من شعراء الحكمة والموعظة فى عصره فكان غالب شعره إصلاحيا، بينما الرافعى رغم ورود الشعر الإصلاحى والأخلاقى إلا إنه تناول أغراضا أخرى بين مدح ورثاء ونسيب وغزل وغيرها، وغيرها فكان كم شعر الأخلاق والتهذيب عنده بهذا الكم، وإن كان لا يقل فى وزنه البيانى وعمق فكرته وسعة معناه عن الوراق، بل يزيد عليه، لما عرف الرافعى بعمق الفكرة عنده لدرجة قد تصل إلى الغموض والتعقيد.

لكن في هذه الموضوعات محل البحث ثراء الوراق كما وكيفا جعل له قصب السبق على الرافعي، وليس هذا بغريب فهو المشهور بشاعر الحكمة والموعظة.

ومع كثرة الأبيات والمقطوعات كثرت بحور الشعر عند الوراق فى هذا الغرض فجاء من أبحر الشعر عنده سبعة أبحر هم: الكامل والطويل والبسيط والخفيف والسريع والرمل والمنسرح، وهذا أظهر توسع الشاعر وتمكنه من صنعته الشعرية، التى جعلته فى حديثه عن هذا الموضوع فقط طرق كل هذه الأوزان وتلك الأبحر معبرا عن معانى الأخلاق، مرغبا فى حسنها ومنفرا من السيئ منها.

---

١ أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني– عللق عليه/ محمود محمد شاكر– مطبعة المدني – القاهرة ط١–١٤١٢– ١٩٩١م ص ٤٢٢، ٤٣ باختصار.

ويتضح من استقصاء الديوان كاملا بالقراءة والدراسة أن الرافعى لم يأت فى شعره إلا مقطوعة واحدة فى جمال الصبر والقناعة، من أربعة أبيات، وقصيدة يحرض نفسه على العزة وكرامة القلب من تسعة أبيات، ومقطوعة صغيرة من بيتين عن عزة النفس. جاءت على بحور الكامل والخفيف والمنسرح على الترتيب.

وقد لاءمت كل مقطعة بحرها، ودلت على تمكن كل شاعر منهما من أدواته الشعرية، التي تنقل مكنونات نفسه إلى المتلقي.

الخاتمة

وبعد..

فالموازنة بين شاعرين من حقبتين زمنيتين متباعدتين، تبرز روح العصر من خلال النص المدروس، وبالرغم من أن الوراق شاعر عباسي، والرافعي شاعر من العصر الحديث، إلا أن الوراق لأنه من رواد التجديد المنادين بالأصالة والالتزام بعمود الشعر، والتجديد فقط في موضوعات الشعر التي تخص العصر وتواكب أحداثه، كان شعره لفظا ومعنى في منزلة هذا الشاعر العباسي، ورغم تفوق الوراق كما وصورة في الموضوع محل البحث، إلا أن الرافعي أجاد فيما قال وإن كان مقلا، وأبدع فيما صور، وإن لم يكن كثيرا. وإن كان الوراق شاعر الحكمة والموعظة، فالرافعي شاعر الفلسفة العميقة التي تقرأ في جل شعره وإن لم تظهر. لكن كلمة حق للبحث: أنه رغم كل هذا إلا أن النتيجة النهائية كانت لشعر الوراق. رغم اتفاق كل من الشاعرين في تأدية المعنى المراد بألفاظ رقيقة عذبة، وسهلة ميسرة لا تحتاج إلى بحث في معاجم اللغة.

والمعنى واضح وإن لم يستقصى عند الرافعي لقلة شعره، فقد أبدع فيما قال.

أما الوراق، فهذا ميدانه، وتلك حرفته، وذلك ميدان جل شعره إن لم يكن كله.

لذلك موضوع البحث محل الدراسة كان الإبداع فيه واضحا، فإن قصر في مقطعة استدرك في أخرى.

وأخيرا:

إن السياحة بين هذه الشاعرين في شعرهما عن الصبر والقناعة وعزة النفس بما لهما وما عليهما قد كان فيها متعة لا يمل منها السائح الباحث عن جودة السبك وحسن التأليف، وإن المقارن بينهما كمن يتكلم في تفضيل بعض الطعوم على بعض، فكل له مذاقه، إلا أن البحث مال لتفضيل الوراق على الرافعي، رغم ماللرافعي من ثقل في شعره وحكمة في عرض معانيه، إلا أنه في الحديث عن الصبر والقناعة وعزة النفس كان مقلا لدرجة تميز بها الوراق عنه.

والموازانة ليست للتقليل من شأن أحد على حساب الآخر ولكنها تستند على جزئيات، تظهر عند واحد دون الآخر، وتظهر مواطن الإبداع عندهما. وتدعو للتميز والتفرد، والبحث في أعماق المعاني عن لآلئ لم تدرك، وصياغة لم تنظم، ليكون التفوق الأدبي واللغوي.

والله أعلم وهو من وراء القصد

وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثبت المراجع

- الآداب العربية في العصر العباسي الأول، د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، ط١، دار الجيل–بيروت، ١٤١٢ه–١٩٩٢م.
- الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى، لأبي سعد محمد بن أحمد بن محمد العميدي (ت٤٣٣ه)، تقديم وتحقيق وشرح: إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف–القاهرة ،١٩٦١م.
- الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، أ. محمود مصطفى ، ط٢، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٦ه–١٩٣٧م.
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي الحمويّ (٦٢٦ه)، تحقيق: إحسان عباس، ط الأولى، دار الغرب الإسلامي–بيروت، ١٤١٤ه–١٩٩٣م.
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني– عللق عليه/ محمود محمد شاكر– مطبعة المدني – القاهرة ط١–١٤١٢– ١٩٩١م .
- الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (٥٦٢ه–١١٦٦م)، تحقيق: عبد الرحمن بن المعلمي اليماني وآخرون، ط١، طبع بإعانة وزارة المعارف والشؤون الثقافية للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد–الدكن–الهند، ١٣٨٢ه–١٩٦٢م.
- البلاغة العربية فى ثوبها الجديد لبكرى شيخ أمين– دار العلم للملايين – بيروت – ط٣ – ١٩٩٠ م.
- تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر للطباعة والنشر–القاهرة، (د.ت).
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د/ حسن إبراهيم حسن، ط١٤، دار الجيل–بيروت، مكتبة النهضة المصرية–القاهرة، ١٤١٦ه–١٩٩٦م.
- تاريخ بغداد وذيوله، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٤١٧ه١٨٣.
- الجانب الديني في أدب الرافعي– مخطوط ماجستير في الأدب للباحثة/ نجاة محمد عبد الماجد العباسي– جامعة أم القرى١٩٨٢/ ١٤٠٢ه .

- الحماسة الشجرية ،لابن الشجري هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني (ت ٥٤٢ه)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، وأسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة،،دمشق ،١٩٧٠م.
- ديوان مصطفى صادق الرافعى – شرح وتحقيق د/ ياسين الأيوبى –المكتبة العصرية – بيروت ٢٠٠٤/ ١٤٢٥ه
- ديوان الوراق شاعر الحكمة والموعظة- جمع ودراسة وتحقيق: أ.د/ وليد قصاب- ط١- مؤسسة الفنون- عجمان- ١٩٩١م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (٤٦٧ه-٥٣٨ه)، تحقيق:عبد الأمير مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت، ١٤١٢ه-١٩٩٢م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى:٤٥٣هـ)، دار الجيل-بيروت، د. ت، د. ط.
- سمط اللآلي في شرح آمالي القالي، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، نسخه وصحَّحه ونقَّحه وحقَّق ما فيه، واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- الصبر والثواب عليه. تصنيف:أبي بكر عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١هـ تحقيق/ محمد خير رمضان يوسف – دار ابن حزم- بيروت – لبنان ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
- طبقات الشعراء، لعبد الله بن محمد بن المعتز العباسي (ت ٢٩٦ه)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٣، الناشر: دار المعارف بمصر-١١١٩م.
- العالم الإسلامي في العصر العباسي، د/ أحمد ابراهيم الشريف، ود/ حسن أحمد محمود ، ط٥ ، دار الفكر العربي، د.ت.
- عمالقة عند مطلع القرن: أحمد شوقي- حافظ إبراهيم- طه حسين- عباس العقاد- مصطفى صادق الرافعي- أبو القاسم الشابي- د/ عبد العزيز المقالح- دار الآداب- بيروت- ط٢- ١٩٨٨م.
- عيون التواريخ، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: د/ عفيف نايف حاطوم، د.ط، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ١٤١٦ه-١٩٩٦م.

- فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت٧٦٤ه)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر–بيروت، ١٩٧٤م.
- لباب الآداب، لأبي منصور الثعالبي النيسابوري، تحقيق: أحمد حسن لبح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤١٧ه–١٩٩٧م.
- لسان العرب – لابن منظور– دار المعارف
- مختار الصحاح – مكتبة لبنان ناشرون.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للإمام أبي الحسن بن علي المسعودي، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ١٤٢٥ه–٢٠٠٥م.
- معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تصحيح وتعليق: أ.د/ ف. كرنكو، ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٠٢ه–١٩٨٢م.
- مفتاح العلوم للسكاكي– علق عليه/ نعيم زرزور– دار الكتب العلمية– بيروت لبنان– ط١– ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.
- مفهوم الخيال ووظيفته فى النقد القديم والبلاغة لفاطمة سعيد أحمد حمدان – مخطوط رسالة دكتوراه فى البلاغة – جامعة أم القرى سنة ١٤١٠/ ١٩٨٩ م.
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية/ الخلافة العباسية مع اهتمامات خاصة بالعصر العباسي الأول، د/ أحمد شلبي، ط٨، مكتبة النهضة المصرية –القاهرة، ١٩٨٥م.
- النقد المنهجى عند العرب ومنهج البحث فى الأدب واللغة – مترجم عن الأستاذين لانون ومابيه– د/ محمد مندور – دار نهضة مصر– الفجالة بالقاهرة.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان (٦٠٨–٦٨١ه)، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر–بيروت، ١٣٩٨ه–١٩٧٨م.